# الفصل الخامس

## كيف قبل فؤاد شهاب الرئاسة مرغماً

يروي العميد ريمون اده أنه قرر ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية عام ١٩٥٨ منافساً فؤاد شهاب، حين أبلغه السفير الأميركي أن اتفاقاً قد تم بين القاهرة وواشنطن على انتخاب قائد الجيش فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية تمهيداً لإنهاء الثورة وإعادة الاستقرار إلى لبنان.

يقول العميد: إنه أقدم على ذلك لا كرهاً أو نكاية بفؤاد شهاب بل لثلاثة أسباب هي: أنه، أولاً، مبدئياً ضد تدخل العسكر في السياسة وأنه، ثانياً، يرى أن وجود مرشح واحد، دون منافس لرئاسة الجمهورية ظاهرة غير ديمقراطية، وثالثاً، أنه يرفض أن ترشح دول أجنبية (يعني الولايات المتحدة ومصر) رئيساً للجمهورية وتتفق على انتخابه.

وبديهي أن يكون هذا الموقف منطقياً وديمقراطياً وشجاعاً ـ وتلك صفات عرفت عن ريمون اده ـ لو لم يكن لبنان في ثورة شاملة ووحدته الوطنية في خطر ولو لم تكن الدول الأجنبية التي عناها هي الولايات المتحدة الأميركية التي استدعى رئيس الجمهورية اللبنانية أسطولها لإنقاذ لبنان وكذلك لو لم يكن رئيس جمهورية مصر، جمال عبدالناصر، على ما كان عليه من تأثير ونفوذ وسحر على الجماهير الإسلامية اللبنانية والعربية و«متهماً» في الوقت نفسه بأنه يريد «بلع» لبنان أي ضمه بالقوة إلى الجمهورية العربية المتحدة.

ولعل أغرب ما في الأمر أن إنسانا آخر كان يشارك العميد ريمون اده في تفكيره وهو. فؤاد شهاب نفسه الذي قاوم حتى آخر لحظة انتخابه رئيساً للجمهورية. وهذه خلاصة ما سمعته منه شخصياً ومن شخصيات سياسية لبنانية ومصرية وأميركية كانت قريبة جداً مما حدث.

لقد كان من الطبيعي بعد نزول المارينز الأميركيين في لبنان أن يبدأ الحوار بين القاهرة وواشنطن حول الأزمة اللبنانية وكلفت الحكومة الأميركية السفير مورفي القيام بهذا الدور. ولقد كان من الطبيعي أن يفتح الرئيس عبدالناصر الحوار مع واشنطن عام ١٩٥٨، فالعلاقات بين مصر والولايات المتحدة، اثر موقف هذه الأخيرة من حرب السويس، كانت طيبة أو على الأقل غير متوترة. فواشنطن لم تكن قد اكتشفت بعد نظريات هنري كيسنجر حول التوازن الستراتيجي في الشرق الأوسط وأمن إسرائيل، وكان جمال عبدالناصر في نظرها هو الزعيم العربي الذي لا بدّ من الإتفاق معه، بالرغم من مواقفه المناهضة لإسرائيل وللمصالح الغربية في المنطقة، لأنه كان يتمتع بشعبية تتعدى حدود بلاده ويشكل حاجزاً عقائدياً في وجه الشيوعية ـ رغم تعاونه مع موسكو ـ ولأنه، أيضاً، لم يقطع الحوار مع واشنطن والغرب حتى في أشد أيام اصطدامه بها.

ثم ان جمال عبدالناصر لم يكن، لا قولاً ولا فعلاً ولا نية، يعمل على ضم لبنان إلى الجمهورية العربية المتحدة بل كان غير راضٍ ـ وأحياناً غير مطلع ـ على «الاجتهادات الخاصة» التي كان يقوم بها بعض أعوانه، لا سيما في أجهزة المخابرات وعبر دمشق، في ما يتعلق بالثورة اللبنانية. ولما كان همه وغايته من دعم المعارضة اللبنانية الحؤول دون دخول لبنان في حلف بغداد وكان حلف بغداد قد أصيب بضربة قاسية من جراء ثورة ١٤ تموز العراقية، فلقد كان من الطبيعي ـ والأسطول الأميركي في المياه اللبنانية ـ أن يتفق جمال عبدالناصر والمبعوث الأميركي مورفي على حل للأزمة اللبنانية. وكان أكثر من الطبيعي أن تتجه الأنظار إلى فؤاد شهاب بسبب الموقف الذي اتخذه وأدى



عمليا إلى حصر الثورة والمحافظة على الشرعية والمؤسسات وكسب احترام المسلمين وتقدير قسم كبير من المسيحيين.

ولكن قبل مفاتحة فؤاد شهاب بالموضوع قام المبعوث الأميركي، مباشرة وبواسطة السفارة الأميركية في بيروت، باستخراج رأي عدد كبير من الزعماء والسياسيين اللبنانيين. ولقد أتيح لي حضور أحد اجتماعات زعماء المعارضة حيث نوقشت قضية انتخاب قائد الجيش رئيساً للجمهورية. لقد كان هنالك شبه اجماع على تقدير موقفه والثقة بشخصه مع بعض التحفظات (وأظن أن الرئيس عبدالله اليافي كان صاحب أحد هذه التحفظات إذ أشار ـ بعد إعلان محبته وتقديره لشخص قائد الجيش ـ إلى ما قد يجر إليه ذلك من تدخل العسكر في السياسة باعتبار أن قائد الجيش سوف يستعين حتماً بعدد من الضباط الذين يثق بهم لمعاونته في الحكم وهذا من شأنه أن يزجهم في السياسة وأن يثير الحسد بين الضباط الآخرين) ولا شك في أن روح التفاهم والتعاون التي سادت بين قادة المناطق ـ بتوجيه من قائد الجيش ـ وبين زعماء الثورة المسلمين، ساعدت على إيلاء هؤلاء الزعماء ثقتهم لقائد الجيش الذي رفض ضرب المسلمين وحافظ على الوحدة الوطنية.

ولم يكن من الصعب على مورفي الحصول على موافقة المقامات والشخصيات المسيحية لانتخاب فؤاد شهاب. إذ أن عدداً كبيراً منهم لم يكن يؤيد موقف كميل شمعون وبنوع خاص البطريرك الماروني بولس المعوشي، كما أن حزب الكتائب كان على صلة وثيقة بالجيش ولم يكن قد دخل الحلبة السياسية بالشكل الذي سوف يدخله في ما بعد وبالتالي لم يكن مطلق التأييد لكميل شمعون وسياسته.

ولا شك في أن وجود الأسطول السادس الأميركي في المياه اللبنانية وقوات المارينز على أراضيه كان له دوره في اقناع الزعماء المسيحيين والمسلمين بقبول التسوية وانهاء الأزمة. فالمسيحيون كانوا أكثر اطمئناناً إلى المصير بوجود الأسطول وقادة الثورة المسلمون لم يكونوا ثوريين بالمعنى الحقيقي للكلمة، بل زعماء وطنيين بورجوازيين يدافعون عن مراكزهم ويطالبون بالإصلاح

وبتصحيح السياسة الخارجية المسيئة إلى شعور ناخبيهم والمضرة بالمصلحة العربية. وكان لموافقة جمال عبدالناصر على إنهاء الأزمة الدور الفعلي في إقناع الجماهير الإسلامية والأحزاب التقدمية أو اليسارية بانهاء القتال.

ولكن كان من الصعب إقناع فؤاد شهاب بقبول انتخابه رئيساً للجمهورية.

إنني أقرأ ـ وأنا أكتب هذه الأسطر ـ على شفاه بعض الذين سوف يقرأونها ابتسامة ريب في ما سأرويه ولكنني واثق من أن ما أرويه أقرب إلى الحقيقة من كل ما سمعته من روايات وتفسيرات. نعم، لقد رفض فؤاد شهاب فكرة انتخابه ثلاث مرات قبل إعلان قبوله، ولم يرضخ لاتفاق عبدالناصر ـ مورفي عليه إلا بعد أن قال له مورفي في مقابلته الأخيرة:

ـ اما أن تقبل... واما أن ينسحب الأسطول تاركاً اللبنانيين يتدبرون أمرهم.

إن الذين عرفوا فؤاد شهاب عن كثب لا يستغربون منه هذا الموقف. فتلك لم تكن المرة الأولى التي حاول فؤاد شهاب ابعاد كأس الرئاسة الأولى عن فمه. ففي عام ١٩٥٢ لم يكن عليه، وهو قائد للجيش ورئيس لمجلس الوزراء الحاكم محل رئيس الجمهورية المستقيل، سوى أن يبدي رغبته لينتخب من قبل الأكثرية النيابية رئيساً للجمهورية. لقد كان فؤاد شهاب زاهداً في الحكم والعظمة ـ كما كان يقول ـ بالرغم من انحداره من عائلة سبق لها أن حكمت لبنان قرناً وتركت لأفرادها لقب أمير. فبطبيعته الخجولة ونشأته اليتيمة والمتواضعة رغم لقب الإمارة، وتربيته العسكرية الإنضباطية وزواجه من سيدة فرنسية هي بدورها ذات طبيعة هادئة ومتواضعة، بالإضافة إلى عوامل أخرى في شخصيته ونفسيته ومزاجه، كانت تنفره أو ربما تخيفه من رئاسة الجمهورية. فقد كان يحب حياته العسكرية المرتبة والبعيدة عن ضوضاء السياسة ومهرجاناتها الشعبية وواجباتها. يضاف إلى ذلك أنه كان شديد الإعتداد بصدقه وبحسن نيته، ولأنه كان يعرف أن الرئيس شمعون وأنصاره وبعض خصومه يتهمونه من وراء موقفه المحايد ابان الثورة، باستدراج عطف المسلمين للوصول إلى رئاسة الجمهورية، كان يرى ان افضل وسيلة لتكذيب هؤلاء هي رفض الرئاسة.

نعم.. لقد قبل فؤاد شهاب رئاسة الجمهورية عام ١٩٥٨ بعد الحاح بل و«تهديد» مشترك مصري ـ أميركي له بضرورة قبولها كحل للأزمة، وبعد ضغط عدد كبير من أصدقائه وضباطه الذين كانوا مقتنعين بأن انتخابه رئيساً للجمهورية هو الحل الوحيد. وما استقالته عام ١٩٦٠، أي بعد أن استقرت الأمور وجرت الإنتخابات النيابية وعادت الحياة السياسية إلى مجراها الطبيعي، إلا تأكيد من قبله على أن قبوله لرئاسة الجمهورية عام ١٩٥٨ كان لحل الأزمة وأنه ليس راغباً في البقاء في منصبه بعد استتباب الأمن والإستقرار في البلاد.

إن الله وحده قادر على معرفة النيات وخبايا الصدور، ولكن الذين عرفوا فؤاد شهاب عن كثب أدركوا أن فؤاد شهاب كان صادقاً في رفض الرئاسة عام ١٩٥٢ وفي عام ١٩٥٨ ثم في عام ١٩٦٤ وحتى في عام ١٩٧٠ مع اختلاف الأسباب والظروف. وأن وراء هذا الرفض أسباباً وأسباباً من بينها، إن لم نقل أهمها زهده الطبيعي في الحكم ونفوره من السياسة والسياسيين (آكلة الجبنة كما كان يسميهم) ونفسيته المفضلة للعزلة وعقليته القريبة من العقلية الأوروبية ومزاجه الساخر (والدته من آل حبيش المشهورين بروح النكتة والسخرية، في كسروان).

إن رئاسة الجمهورية في لبنان، أو بالأحرى في نظر اللبنانيين هي شيء هام جداً، نظراً لما تحيط بها من مظاهر العظمة والسلطة وما توفره لصاحبها ولعائلته وأنصاره من عزّ ونفوذ ومنافع. وأنه من الصعب على السياسيين ـ وعلى اللبنانيين عامة ـ أن يصدقوا أن هنالك إنساناً لبنانياً يرفض أن يكون رئيساً للجمهورية.

لم يدرك اللبنانيون والزعماء السياسيون أن أقداراً غير مرتقبة قد أوجدت لهم شخصاً ينظر إلى قيادة الجيش ورئاسة الجمهورية نظرته إلى وظيفة يقوم بها أو واجب يؤديه لا أكثر ولا أقل.

هذا «السوء تفاهم» بين فؤاد شهاب وعدد من السياسيين والزعماء

المسلمين والمسيحيين بل واللبنانيين بشكل عام الذين كانت نظرتهم إلى الحكم والسياسة وإلى لبنان تختلف كثيراً عن نظرته.. سوف يشكل، لسوء حظ لبنان، احد أسباب احباط التجربة الشهابية وأحد أهم أسباب جرّ لبنان نحو الإنفجار عام ١٩٧٥.

# الفصل السادس

# ثورة الكتائب المضادة وحكومة الأربعة

بعد أن قبل فؤاد شهاد بانتخابه رئيساً للجمهورية، بدأت الأزمة، المحنة اللبنانية تتحلحل. فالمجلس النيابي، وكانت أكثريته شمعونية لم يقف في وجه الحل الأميركي - المصري لإنهاء العصيان المسلح وعودة الأمور إلى طبيعتها. فتم انتخاب فؤاد شهاب في الإقتراع الثاني، نظراً لأن ترشيح ريمون اده الذي نال أحد عشر صوتاً في الإقتراع الأول، حال دون حصوله على الأكثرية المطلقة من الأصوات. وبدأت «المتاريس» ترفع من الشوارع وأخذ الناس يستعدون للعودة إلى أعمالهم ولكن بحذر. فلقد كان هنالك فترة شهرين أو أقل تفصل بين انتخاب فؤاد شهاب وتسلمه الحكم في أيلول أي عند انتهاء ولاية الرئيس شمعون.

لم يكن فؤاد شهاب سياسياً داهية ولا خبيراً باللعبة السياسية الداخلية. ولم يكن كميل شمعون وهو، بالعكس، سياسي محترف وبارع، ينوي القاء القفاز والإعتراف بالهزيمة والإعتكاف بعيداً عن السياسة كما فعل الشيخ بشارة الخوري بعد استقالته. فاعترافه بالهزيمة السياسية كان يعني الإعتراف بأخطائه وسقوط حجة الدفاع عن كيان لبنان واستقلاله ونظامه والمسيحيين التي كانت ذريعته لمقاومة معارضيه والصمود في الحكم رغم ثورة نصف البلاد إن لم يكن ثلثيها ضده. (ففي أي بلد ديمقراطي يكفي أقل من هذا بكثير لتسقط الحكومة أو ليتغير النظام).